الفصل الأول

اليهود والمسيحيون

في الجزيرة العربية قبل الإسلام

اضطهاد الرومان لليهود وهجرتهم إلى الجزيرة العربية :

استمر اليهود يحرفون البقية الباقية من العقائد الماسونية، ويوجهونها الوجهة التي أرادوها لها، وكانت الوسيلة التي اتبعوها للوصول إلـى هـذه النتيجة هي التأويل التي استغلوها في التزييف والتشويه، وسموها بطريقـة "التفسير الرمزي" حيث دعوا أن الكتاب المقدس لا يعنى معناها الحرفي، بل يكمن وراء هذا المعنى من دلالات باطنية لا يستطيع الجهال معرفتها إلا عن طريقها . وعلى هذا النحو استطاعوا أن يقنعوا عامة اليهود بأن ما ورد في التوراة مثلا من وصايا تأمر بحب الغريب واحتـرام حقوقـه لا تعنـى إلا الغريب من اليهود، وأن يوحوا لهم بعاطفة بُغض فطري لكل ما هو غيـر يهودي .

وكان المنافقون قد وصلوا إلى ما أرادوا من تسميم أفكار غيرهم من اليهود وتشويه عقولهم حينما ظهر المسيح الذي كشف عن نفاقهم في كثيـر من آيات الإنجيل ؛ ولكن المسيح ومن بعده أتباعه قد دفعوا ثمن كشفهم عن هذا الخداع غاليًا، إذ راح اليهود الذين كانوا منبثـين فـي أنحـاء الأرض يعملون على تشويه سمعة المسيح وأتباعه برميهم بـأفظع الـتهم وتأليـب الحكومات والهيئات عليهم[1].

---

[1] الفصاص : الإسرائيليون وروح العدوان ص٨٩ .

تكرر الصراع بين اليهود والمسيحيين، فقام اليهـود بثـورة علـى الرومان سنة ٧٠ بعد الميلاد ، وذبحوا فيها كل من وقع تحت أيـديهم مـن غير اليهود ، ثم انتهت بهزيمتهم وتشتيت شملهم وهدم معبـدهم علـى يـد "تيتوس" ولكنهم عادوا بعدها إلى جمع شملهم ونصبوا لهم حاخاما جديـدا ، وأعادوا تكوين مجلس حكمهم "الساهندرين" ومجمعهم العلمي،ووثقوا الروابط بينهم وبين جالياتهم المنبثة في أنحاء الأرض ، ونظموا جمع الضرائب من أفرادها،وقاموا بمحاولة أخرى سنة ١١٥ في عهد الحاخام "اكيبا" يـسمونه " ابا السنة التلمودية" وفيها ذبحوا مائتي ألف من المسيحيين في ليبيا وحـدها ومائتي وأربعين ألفا في قبرص ما بين مسيحيين ووثنيين وفي سـنة ١٣٤ قاموا بمحاولة أخرى كانت من أشنع المحاولات التي قاموا بها إذ اغتـالوا فيها مئات الآلاف من غير اليهود بقسوة معدومة النظيـر ولكنهـا بـاءت بالإخفاق،وبعد ذلك تتابعت ثوراتهم و تتابع معها إخفاقهم وتبدد شملهم.

أخذ يهود فلسطين يذوبون شيئًا فشيئًا فاندمج بعضهم في الحضارتين اليونانية و الرومانية وقد تخلو على الأقل عن تحجرهم الفكري ،بيد أن فريقًا استبقى إيمانه بالديانة اليهودية كرمز للكيان اليهودي فلم يستسغ التفريط في إحداهما، فكان لا يفتأ يثور على الاحتلال الأجنبي،وكـان قيـام التـورات المسلحة ضد الحضارة الهلينية أكبر دليل على جمود الفكر اليهودي.وما لبث ثورات اليهود أن استنفدت صبر الأمبراطورية الرومانية فدمرت أورشـليم سنة ٧٠ بعد الميلاد وذبحت عددا كبيرا،وبيعت النساء و الأطفال في أسواق الرقيق وتمكن البعض من الفرار،فخرجوا إلى الأقطـار المجاورة،وكانـت الجزيرة العربية مقصد عدد كبير منهم.

اليهود في الجزيرة العربية قبل الإسلام

تناثرت الجماعات اليهودية في أنحاء المعمورة حاملة معها تفكيرها البدائي للذي يذهب إلى بني إسرائيل خير الأمم لأنهم شـعب (يهـود) وأن أرض إسرائيل أحسن البلاد لأنها موطن يهود.

توارث اليهود هذا التفكير فأوجد فيهم الغرور والتخريب و الانزواء وكان الزمن كفيلا بحل هذه العقدة النفسية وإعادتهم إلى حظيرة الانـسجام البشرى لولا أن تولى مقاليد المسيحية أناس لم يتشبعوا بجوهرهـا الخالـد (المحبة) وما تعنيه من تسامح،وانتشر التفكير الذي لم يكن من المسيحية في شيء وهو الانتقام من القوم الذين أنكروا المسيح واضـطهدوه،ونما عـداء متبادل بين اليهود و النصارى وتغلغل في القلـوب وعـم معظـم أرجـاء العالم،اليهود يؤمنون أنهم مضطهدون مكروهـون محـسودون،والإخلاص عندهم هو التمسك بدينهم كما أوجدوه،وربهم كما تصوروه، وهيكلهم الـذي يجب أن يعيدوه وغير اليهود يرونهم قوما مغرورين منبوزين مجردين من الإنسانية .

كان نصيب الجزيرة العربية من اليهود النازحين عن فلسطين بعـد اضطهاد الرومان لهم كبيرًا فقد كان من هاجر من بني إسرائيل إلى جزيرة العرب في العهود الأولى التي قاربت عهد موسى لا يزالون واقعين تحـت تأثير بيئتها، لذلك ما كادوا يشعرون بنتائج المـسئوليات و التبعـات حتـى فضلوا عيشة بلاد عرفوها واختبروا لقاءها وعرفوا رحابة صدرها فتسرب عدد منهم إليها .

وأصبحت الجزيرة العربية بعد ذلك مهبطًا مرغوبًا لليهود يسارعون إلى الهجرة إليها كما شعروا بخطر يهددهم فينزلون في رحاب إخوانهم الذين سبقوهم إليها آمنين شر أعدائهم وقد فصلت بينهم مفاوز الصحراء[٢]

اليهود في اليمن :

انتشرت اليهودية في اليمن في عهد الدولة الحميرية الثانية وكان ذلك نتيجة لغزو فلسطين وتحيم بيت المقدس على يد (قيطس)في سـنة ٧٠م.وإذا حكمنا من مواقع الأسماء التي وصلت إلينا نستطيع أن نقـرر أن معظـم اليهود في بلاد العرب كانو من الأراميين و العرب المتهودين لا من سلالة إبراهيم[٣].

كان أول من اعتنق اليهودية من ملوك الدولة الحميرية باليمن هـو أسعد بن كرب (٣٨٥-٤٢٠م) وتروى المصادر العربية القديمة أنه غـزا أذربيجان وهزم ملك الفرس كما هزم سمرقند وقتله ودخلت جيوشـة بـلاد الصين، وعادت محملة بالغنائم .كما حاصرت جيوشـه رومـا،وأدت لـه القسطنطينية الجزية .كذلك تذهب الروايات العربية إلى أن سعد هـذا غـزا يثرب وكسا الكعبة وأنه كان أول من تهود من العرب [٤].

وتروى الروايات العربية قصة اعتناق أسعد بن كـرب اليهوديـة، فتروى أن أسعد حين قفل من الشرق إلى اليمن مر بالمدينة، وكان قد خلف

---

[٢] برائق والمحبوب: محمد واليهود ص ١٩.

[٣] حتى: تاريخ العرب ص ٧٤.

[٤] ابن هشام : كتاب التيجان في ملوك حمير ص ٢٤٩ وما بعدها.

هناك ابنا له، فقتل غيلة ، فلما علم بذلك قرر الانتقام بـــضربها واستئـــصال أهلها، وأخذ في محاربتهم، وبينما هو قتالهم إذ جاءه جبـــران مـــن قريظـــة فتكلما معه، وأعجب بهما ورأى أن لهما علما فترك المدينة وانصرف عنها وعاد إلى اليمن مصطحبا معه الحبرين، ودعا قومه إلى اعتناق اليهودية كما اعتنقها هو [٥].

المسيحية في الجزيرة العربية قبل الإسلام :

نجت بلاد الحجاز ونجد من الغزو والاستعمار الأجنبي، فلم تكـــن لهذه البلاد خيرات أو مميزات تجذب الفاتح وتشجعه على تحمـــل وعـــورة السطح وقسوة المناخ، بل أن هذه البلاد لا تجود حتى لسكانها ما يمكنهم من حياة رغيدة .

تحدث المؤرخ (واشنجتون أرفنج) عن مـــدى تعـــرض الجزيـــرة العربية للغزو فقال: ربما تدلنا دراسة أخلاق وطبائع العرب على الأســـباب التي جعلت أحوال العرب ثابتة على مر الزمن .فقد كان وضعهم الجغرافي وصحاريهم القاحلة الواسعة تحميهم من الغزو، كما أدى نزاعهم وصراعهم المستمر ورغبتهم في الاستقلال الديني والسياسي إلى أن صاروا بعيدين عن الغزو والاستعمار .

كانت كل من الدولتين الفارسية والرومانية تتمنى لو أنها نجحت في بسط سلطانها على إقليم الحجاز،فقد كانت الدولتان قبـــل ظهـــور الإســـلام تتنافسان على مناطق النفوذ، ولكن وعورة الطرق الموصلة إلـــى الحجـــاز،

---

[٥] التيجان ص ٩٥، الطبري ح ٢ ص ٩٤ وما بعدها .

وطول خطوط الإمدادات والتموين، وجدب الصحراء، وعدم وجود جـيش عربي مركزي توجه إليه الدولة الفارسية أو الدولـة الرومانيـة جيوشـها وجهودها، أدى إلى بقاء الحجاز في أيدي أصحابه من العرب بعيـدا عـن السيطرة الأجنبية .

حتى إذا لمس الفرس والروم عجزهم عن بسط نفوهم السياسي على بلاد الحجاز، اتجهوا إلى بلاد اليمن،حيث كانت تحكمها الدولـة الحميريـة العربية .وأخذ الرومان ينشرون المسيحية كتمهيد لبسط الـسيادة الرومانيـة وأدرك الفرس حقيقية أهداف الرومان فعلوا على الوقوف في وجه الـسياسة الرومانية وأخذوا يعرقلون التجارة الرومانية في الخليج الفارسي

بدأت المسيحية تجد طريقها إلى اليمن عن طريق الشام وقد أخـذت البعثات السورية الفارة من الاضطهاد تدخل اليمن في أوقات غير معروفـة لنا، ولكن أول سفارة مسيحية إلى جنوب بلاد العرب وصلت إلينا أخبارهـا هي تلك التي أرسلها الإمبراطور (كونستاسيوس) في سـنة ٣٥٦ بزعامـة (تيوفيلوس اندوين الأريوس). وكان الباعث الحقيقي لإرسال هـذه البعثـة، ظروف السياسة الدولية في تلك الفترة نتيجة للتنـافس بـين إمبراطـورتي الفرس و الروم في سبيل الحصول على مناطق نفوز في جنوب بلاد العرب، وكانت لهذه البلاد أهمية اقتصادية كبرى ، فقد كانت تنتج كمية كبيرة مـن البخور والتوابل والأعشاب الطبية كما كانت تقع على طرق التجارة الرئيسية في العالم القديم . ونجح تيوفيلوس في إنشاء كنيسة فـي عـدن وكنيـستين أخرتين في مملكة الحميريين. وقد اعتنقت نجران الدين الجديد حوالي سنة ٥٠٠ ميلادية وأصبحت أهم معقل للمسيحية فـي جنـوب شـبه الجزيـرة العربية .أدى التنافس في بلاد العرب الجنوبية بين معتنقي الدينين الجديدين

إلى العداء و الصراع . وتسابق اليهود والنصارى فـي الـيمن لتهويـد أو تنصير أهل اليمن الذين ظلوا على ديـن أبـائهم و أجـدادهم مـن عـادة الأصنام،وحاول كل فريق أن يتغلب على منافسه ويسحقه من غير رحمة ولا شفقة فوقع بين أتباع الديانتين صراع مؤلم سـالت فيـه الـدماء .وكانـت (اللاسامية) في جملة العوامل التي زادت في شـدتها،ولا شـك إذا سـارت الحكومة البيزنطية بعد تنصرها على السياسة القديمة في مقاومـة اليهـود باضطهادهم و الضغط عليهم .وهذا مما حملهم على توجيه أنظـارهم إلـى خصوم الروم وأعدائهم من الفرس[٦].

وكان الفرس على الغالب باستثناء فترات من الزمن متساهلين مـع اليهود،كما كان من مصلحتهم تأييد كل جبهة معادية للروم،و اليهود كانـت جبهة من هذه الجبهات.

صراع اليهود و النصارى حول السيادة في اليمن

أحرز اليهود انتصارات كبيرة على النصرانية في اليمن،حين اعتنق ملك حميري اليهودية وبدأ اضطهاده العنيف للمسيحيين،وتعـصب لليهـود فأفرط في التعصب، فقد حنق لما كان يلاقيه إخوانه اليهود من اضطهاد في الدولة الرومانية البيزنطية، وطفق يسوم نصارى مملكته سوء العذاب[٧].

هاجم الملك الحميري معقل الجالية المـسيحية،وخير أهلهـا بـين الارتداد عن المسيحية أو القتل، فاختاروا الاستشهاد من أجل عقيدتهم،فقتلهم

---

[٦] جواد علي : تاريخ العرب قبل الإسلام ح ٣ ص ١٨١.

[٧] ولغنسون: تاريخ اليهود في بلاد العرب ص ٤٥ .

حرقا في الخنادق.وصور القرآن الكريم هذه الحادثـــة فـــي هـــذه الآيـــات الكريمة[٨]. :(قتل أصحاب الأخدود.النار ذات الوقود. إذ هم عليها قعود.وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود).ويعلل المؤرخ العربي المسيحي المعاصر الدكتور فيليب متى[٩]. هذه الواقعة بأن الملك الحميرى كان يمثـــل الـــروح القومية، فكان يرى في مواطنة المسيحيين ما يذكره بحكم الحبشة المســيحية البغيض .

غضب (جستنيان) إمبراطور الدولة البيزنطية لما لحـــق بمـــسيحي نجران، باعتباره حاميًا للمسيحيين في كل مكان، وطلب من نجاشي الحبشة المسيحي غزو هذه البلاد وإنقاذ المسيحيين .وكان جستنيان يرمي من وراء ذلك إلى غرضين : أحدهما سياسى، وهو اتخاذ بلاد اليمن طريقًا لتجارتـــه إلى الشرق إذا وقعت في يد حلفائه الأحباش ، ليقضى على تجارة منافـــسيه الفرس، والأخر ديني، وهو جعل السيادة للدين المسيحي هناك [١٠].

كانت الحبشة حينئذ في ذروة مجدها، تجري بأمرها علـــى البحـــار تجارة واسعة، ويمخر لها العباب أسطول يجعلها تتسلط بنفوذها علـــى مـــا حاذاها من البلاد. وكانت حليفة الإمبراطوريـــة البيزنطيـــة ورافعـــة علـــم المسيحية على البحر الأحمر، كما كانت بيزنطة رافعة علمها علـــى البحـــر المتوسط[١١].

---

[٨] سورة البروج ٨٥ آيات ٤-٥ .

[٩] متى: تاريخ العرب ص ٧٥.

[١٠] حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام ح١ ص٢٩.

[١١] هيكل: ابن هشام ح ١ ص ٤١.

تظاهر الأحباش بأنهم قدموا للانتقام ممـــا حـــل بالمـــسيحيين فـــي نجران، ولكنهم كانوا يتخذون هذه الحجة ستارا يخفـــون وراءه أغراضـــهم الاستعمارية .أرسل النجاشى إلى اليمن عبر البحر الأحمر، جيشا يتألف من سبعين ألف رجل بقيادة (أرياط) . وانتصر الأحبـــاش علـــى الحميـــريين سنة ٥٢٣م .

أصبح أرياط حاكما على بلاد اليمن، وظل يتولى أمور هذه الـــبلاد حتى أخذ عليه قواده انحيازه إلى فريق منهم في توزيع العطـــاء والغنـــائم، فاجتمعوا بقيادة أبرهة وقضوا عليه، وبذلك خلا الجو لأبرهة، فولي للحكـــم في اليمن بدلاً من أرياط [١٢].

أقام الأحباش في اليمن كفاتحين، وانقلبوا كمستعمرين، وظلوا مـــن سنة ٥٢٥ إلى ٥٧٥م يهيمنون على بـــلاد الـــيمن واســـتثمروا مواردهـــا الاقتصادية لمصلحتهم .

محاولات الأحباش لنشر المسيحية في الجزيرة العربية :

أتخذ أبرهة من صنعاء عاصمة للمستعمرة الحبشية الجديدة في بلاد اليمن، وبني فيها واحدة من أعظم كاتدرائيات العالم فخامة وروعة وهى التي يسميها كتاب العرب (انقليس)، وهى مشتقة من الكلمة اليونانيـــة (اكليزيـــا Ckkleisia) ومعناها كنيسة .وقد أراد الأحباش أن تكون هـــذه الكنيـــسة الكبرى نواة لدولة مسيحية كبرى في بلاد اليمن، ثم تمد هذه الدولة نفوذها فيما بعد على أرجاء شبه الجزيرة العربية، فيصلوا بذلك بين دولة الأحباش

[١٢] سيرة ابن هشام ح ١ ص ٤١.

والدولة الرومانية الشرقية (البيزنطية) التي تمتد إلـــى مـــشارف الجزيـــرة العربية حيث تقوم إمارة الغساسنة .

تميزت كنيسة صنعاء بالضخامة والفخامة، ويرى الـــدكتور (متـــى) [١٣] أن الأحباش المسيحيين كانوا ينوون تنصير البلاد، وخلق منافس لمكة الوثنيـــة التي كانت مركز الحج في الشمال لأن الحج كان مورد دخل عظيم لأولئـــك الذين يسكنون في تلك المدينة، التي كان يسافر إليها الحجاج، أو على مقربة من الطرق التي كانت تؤدي إليها . وقد نجح الأحباش بتأسيس ذلك التعبـــد الديني في الجنوب في اجتذاب الجمـــاهير وأصـــبح التنـــافس الاقتـــصادي عظيمًا .ويذكر الأستاذ الدكتور طه حسين[١٤]. أن أبرهة رغم أنه بذل جهدًا كبيرًا في ترغيب الناس في أن يتخذوا من كنيسة صنعاء كعبة لهـــم، إلا أن العرب كانوا أهل وثنية ولجاج في الوثنية، فكانوا يكبرون من أمـــر أبرهـــة ويعظمون سلطانه ويبتغون عنده المعروف، ولكنهم كانوا يكرهـــون دينـــه وتأبى نفوسهم الاستجابة له، وكان الذين يختلفون إلى كنيسته قليلـــين مهمـــا كثروا .

سميت هذه الكنيسة (القليس) لارتفاع بنائها وعلوها، وقـــد اســـتذل أبرهة أهل اليمن وسخرهم في بنيان الكنيسة، وكان ينقـــل إليهـــا الرخـــام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب من قصر بلقيس صاحبة سليمان عليـــه السلام، ومن شدته على العمال كان العامل إذا طلعت عليه الشمس قبـــل أن يبدأ عمله قطعت يده .

---

[١٣] تاريخ العرق ص ٧٦.

[١٤] على هامش السيرة ص ١٤١.

كتب أبرهة إلى النجاشى أنه يريد أن يصرف حجاج العـــرب إلـــى كنيسته، ويحول تجارة قريش إلى صنعاء، وجاء في رســـالته " بنيـــت لـــك بصنعاء بيتا لم تبن العرب ولا العجم مثله، ولن أنتهي حتى أصرف حـــاج العرب إليه ويتركوا الحج إلى بيتهم "

ثار مشروع أبرهة حفيظة العرب، فخرج من بني مالك بن كنانـــة حتى قدم اليمن، ودخل الكنيسة وعبث بأثاثها وانتهـــك حرمتهـــا .وغـــضب أبرهة لذلك أشد الغضب، وأقسم ليهدمن الكعبة وليحملن العـــرب علـــى أن يحجوا إلى كنيسته بالسيف، بعد أن أعياه حملهم على ذلك بـــالرفق واللـــين .وتحدث ابن هشام[١٥].عن أثر قسم أبرهة في العرب فقال : " وسمعت بذلك العرب، فأعظموه وقطعوا به ، ورأوا جهاده حقا عليهم، حين ســـمعوا بأنـــه يريد هدم الكعبة، بيت الله الحرام ".

ولم يكد النهار يتقدم حتى رفعت الأنباء إلى أبرهة بأن أهل تهامة قد قتلوا ذلك الرجل الذي أرسله إليهم ملكا، فزادت ثورته، وأمر بالاستعداد في الحال للقتال والرحيل إلى مكة، وبعث برسالة إلى النجاشي لطلبـــه، ونجـــح أبرهة في تكوين جيش كثيف العدد وكامل العتاد .

ثم جاءت خاتمة المأساة، ويروى المؤرخون القدامى أن الله قد أرسل من البحر طيورًا أمثال الخطاطيف والبلسان، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها حجر في منقاره وحجران في رجليه، أمثال الحمـــص والعـــدس، لا تصيب أحدًا منهم إلا هلك [١٦]. ووصف المـــؤرخ المـــسعودي[١٧].مـــصير

---

[١٥] سيرة ابن هشام ح ا ص ٥٤.

[١٦] سيرة ابن هشام ح ١ ص ١٤٦

الجيش الحبشي فقال "فأرسل الله عليهم الطير الأبابيل أشباه اليعاسيب ترميهم بحجارة من سجيل، وهو طين خلط بحجارة خرجت من البحر مع كل طيـــر ثلاثة أحجار، فأهلكهم الله عز وجل ".

وخلد القران الكريم هذا الحدث التاريخي الكبير، في سورة الفيـــل : (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾). وهلك معظم جند أبرهة، ونجت القلة القليلة .أما أبرهة فقـــد مسه حجر فصرع، وظهر على جسمه بلاء عظيم، وأخذت أجـــزاء جـــسمه تساقط حتى مات .

يعتبر المؤرخ (براون) عام الفيل فاتحة عصر جديد في تاريخ حياة العرب القومية، ولاشك أن هذه الحادثة التاريخية كانت فاتحة خيـــر علـــى العرب عامة وقريش خاصة حتى أنهم أصبحوا يؤرخون بها حوادثهم . فقد مهدت السبيل لقبول الدعوة الإسلامية، إذ لو أتيح للجيش الحبشي الانتـــصار لتغير وجه التاريخ وانتشرت المسيحية في بلاد العرب، وانصرف العـــرب عن مكة إلى صنعاء[١٨].

حدث بعد الهزيمة الماحقة التي نزلت بأبرهة وجيشه أن قامت حركة وطنية في دولة حمير لتخليص اليمن من حكم الأحباش، وكان علـــى رأس هذه الحركة سيف بن ذى يزن الحميري الذي سعى لإنقاذ قومه، فسار إلـــى

---

[١٧] مروج الذهب ج ٢ ص ١٣٨.

[١٨] حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام ج١ ص ٥١.

ملك الحيرة العربي ليتوسط له لدى كسرى أنو شروان ليمده بقوة يستعين بها في إخراج الأحباش من بلاد اليمن .

وكان العرب المسيحيون في تلك الـبلاد يتطلعـون إلـى الحمايـة والرعاية من الروم، كما كان اليهود والوثنيـون يتطلعـون إلـى الحمايـة والرعاية. كما كان اليهود والوثنيون من العرب يلوذون بالفرس ويطلبـون العون منهم .

فلما استنجد سيف بن ذي يزن بكسرى فارس، أمـده بحملـة سـنة ٥٧٥ م بقيادة وهزر. وقد تغلب هذا القائد على الأحباش في الـيمن، وأنقـذ هذه البلاد من حكمهم البغيض[١٩].

قامت على إثر ذلك في بلاد اليمن حكومة مشتركة، تقلد سيف بـن ذي يزن فيها ولاية اسمية، وانتحل (وهزر) وظيفة نائب ملك في تلك البلاد، حتى اعتنق (باذان)، آخر ولاة الفرس على اليمن الإسلام ودخل في طاعـة الرسول، وبذلك أسدل الستار على صراع اليهود والمسيحيين في الـيمن، أو بعبارة أخرى صراع الفرس والروم .

اليهود في الحجاز :

كان اليهود قبل ظهور الإسلام قد احتلوا أخـصب بقـاع الحجـاز واستغلوها في الزراعة والصناعة والتجارة .وقد أدى استعمارهم تلك البقاع واعتزازهم بأنفسهم ودينهم إلى كراهة العرب لهم ورغبتهم في إخراجهم من

[١٩] جمال سرور: قيام الدولة العربية ص ٨.

بلاد الحجاز .ونلحظ ذلك بصفة خاصة فـي يثـرب حيـث كـان الأوس والخزرج يبذلون جهدهم للحلول محل اليهود في أراضيهم الخصبة [٢٠].

عاش اليهود في يثرب وخيبر واليمن وجاوز اليهود أهل يثرب، أما مكة والطائف فلم يكن بها غير الوثنية لبعدها عن موطن اليهود [٢١].

كانت يثرب (المدينة المنورة بعد هجرة الرسـول) أكثـر مـدن الحجاز التي قصدها اليهود، وكان سكانها الأوائل (العمالقة)، وما لبثـت أن تابعت موجات هجرات اليهود فتغلبوا على العمالقة واستقروا في يثرب .

وصف أبو الفرج الأصفهاني تغلب اليهود على يثرب فقال: " كـان يسكن المدينة في أول الأمر قبل بني إسرائيل قوم من الأمم الماضية يقال لها العماليق، وكانوا قد تفرقوا في البلاد وكانوا أهل غزو وبغض شديد " .

ولم تظهر هجرة اليهود إلى يثرب بشكل واضح إلا فـي القـرنين الأول والثاني الميلادي على أثر الحروب التي شنها الرومان ضد اليهود في فلسطين والتي انتهت بطردهم منها وتشتيتهم في أرجاء متفرقة، فهاجر منهم بنو النضير وبنو قريظة إلى شمال الجزيرة العربية، واسـتقر بهـم المقـام في يثرب .

اضطر اليهود إلى الاندماج في الحياة العربيـة، ليحـافظوا علـى مصالحهم المادية واقتبسوا بعض نظم العرب الاجتماعية، فانقسم اليهود مثلما

---

[٢٠] جمال سرور: قيام الدولة العربية ص ١١٤

[٢١] ولفنسون: تاريخ اليهود في بلاد العرب ص ٦٧

انقسم العرب، إلى قبائل واتخذ معظم اليهود أسماء عربية، وحاولوا إجـــادة اللغة العربية، حتى أنه ظهر بعض الشعراء اليهود مثل السموءل بن عادياء.

كانت لغة اليهود في بلاد العرب هي اللغة العربية، ولكنها لم تكـــن عربية خالصة بل كانت مشوبة بالرطانة العبرية، لأنهم لم يتركوا اســـتعمال اللغة العبرية تركا تاما .بل كانوا يستعملونها في صلواتهم ودراساتهم، فكان من الضروري أن يدخل في لغتهم العربية بعض الكلمات العبرية .

كما ساهم اليهود في الحياة الاقتصادية في يثرب وســـيطروا علـــى معظم الموارد الاقتصادية فاحتكروا التجارة وجابت قوافلهم بـــلاد العـــرب طولا وعرضا وامتلكوا ضياعا واسعة واهتموا بزراعتها وزيـــادة الإنتـــاج الزراعي، كما برعوا في الفنون الميكانيكية وصناعة الأسلحة والمصنوعات الذهبية وآلات الزراعة .

لم تهدأ الأحوال للقبائل اليهودية (وأشهرها بنو قينقاع وبنو قريظـــة وبنو النضير) في يثرب، فقد وفد عليها قبائل عربية يمنية، قدمت من اليمن بعد خراب سد مأرب وتخريب السيول للأراضي الزراعيـــة، إذ هـــاجرت القبائل اليمنية إلى مناطق مختلفة، واســـتقرت اثنتـــان منهـــا همـــا الأوس والخزرج في يثرب .

خضع اليهود للأمر الواقع، فهـــادنوا القبيلتـــين العـــربيتين (الأوس والخزرج)، فسمحوا لهم بالاستقرار والنشاط الاقتـــصادي، فـــي التجـــارة والزراعة ولكن الأوس والخزرج أرادوا ضمانا يضمن لهم حـــسن معاملـــة اليهود باستمرار فطلبوا أن يعقدوا معهم تحالفا يبذلون فيه الأمان ويضمنون

لهم حسن الجوار، فتحالفوا وتعاقدوا معهم واستطاعوا أن يتفرغوا لنـــشاطهم الاقتصادي وحازوا ثروات كثيرة.

وسرعان ما انقلب اليهود على العرب، فقد حقدوا عليهم مـــشاركتهم لهم في استغلال الموارد الاقتصادية في يثرب، وحسدوهم على ما نالوا من ثراء، فأعلنوا نقضهم لما بينهم وبين العرب من تحالف وتعاقد .

بدأ اليهود اضطهادهم للعرب (الأوس والخزرج)، وكانـــت قبيلتـــا قريظة وبني النضير أكثر القبائل اليهودية عداء للعرب مما اضطر العـــرب للاستنجاد بأخوتهم في العروبة وهم العرب الغساسنة المستقرون في إمارة لهم بالشام على أطراف الدولة البيزنطية، ولبى الغساسنة النـــداء وهرعـــوا يقفون إلى جانب إخوانهم عرب يثرب في صراعهم مع اليهود .

كان النصر مضمونا لعرب يثرب على اليهود، طالما يقفـــون – أي الأوس والخزرج – معا صفا واحدا أمام عدوهم المشترك .ولكن للأسف ما لبث الشقاق أن دب بين صفوف العرب فانقسموا على أنفسهم وبدأ عداء قبيلة الأوس لقبيلة الخزرج .

انتصرت الخزرج على الأوس، وقصدت الأوس قبيلة قريش تطلب منها أن تعاونها، ولكن قريشا كانت قبيلة تجارية فحرصـــت علـــى تركيـــز جهودها في الأغراض التجارية فامتنعت عن مساعدة الأوس، فاضطروا إلى محالفة أعداء الأمس، اليهود، وتحالفوا مع بني قريظة وبني النضير.

ودارت حرب عنيفة تـــسمى (فجـــار يثـــرب) أو (فجـــار الأوس والخزرج)، انتهت بانتصار الأوس، ثم اتفق الفريقان على الصلح، وإقامـــة

حكومة مشتركة تنظم العلاقات بين أهل يثرب واختاروا عبد الله بـــن أبـــى سلول ملكا عليهم . ولكن هذا المشروع لم يكتب له النجـــاح، فقـــد هـــاجر الرسول الكريم في ذلك الوقت [٢٢].

لماذا لم يقبل العرب على اعتناق اليهودية ؟

لم يقبل العرب على اعتناق الديانة اليهودية، ويرجع ذلك إلى عـــدة أسباب: **أولاً** : لم يهتم اليهود قديما وحديثا، بالتبشير بدينهم، فهم يزعمـــون أنهم شعب الله المختار، وأن سائر الشعوب غير جديرة بالدخول فيما دخلـــوا فيه، ولذا وضعوا العراقيل أمام كل من يريد أن يتهود .ويقـــول (إســـرائيل ولفنسون) [٢٣]: الذي يقرأ تاريخ اليهود يعلم أن الأمة لم ترغب في إرغـــام الأمم على اعتناق دينها، وكان نشر الدعوة الدينيـــة مـــن بعـــض الوجـــوه محظورا على اليهود .وهناك عامل آخر حال دون انتـــشار اليهوديـــة فـــي الحجاز، فاليهودية،كما نفهمها هي خلاصة القانون التلمودى بعقائده وتقاليده وطقوسه . وهكذا صمم اليهود، الذين انفردوا عدة قرون بحمل راية التوحيد، على أن يبعدوا عن اليهودية كل من أراد أن يعتنقها، إلا إذا تـــوافرت فيـــه جميع شروط التوراة والتلمود وخضع لكل نظمها .

ثانيًا : كانت التوراة والتلمود تكلف الإنسان تكاليف صعبة ، وتربطة بتقاليد كثيرة لم يألفها فلم يستطع العربي الذي لم يكن يعرف للنظم المعقـــدة قيمة أن يدركها بسهولة ، وكان من العسير على نفسه أن تقبل التقيد بأغلال

---

[٢٢] القلقشدي: صبح الاعشى حـــ ٥ ص ٢٩٥ وما بعدها، والسمهودي، وفاء الوفا حـــ ١ ص ١٥٢ وما بعدها.

[٢٣] تاريخ اليهود في بلاد العرب ص ٦٧.

لا تحصى من القوانين الثابتة الثقيلة وهى المطبوعة على حـــب الاســـتقلال والحرية .

ثالثًا : ضايق العرب احتكار اليهود لموارد الـــبلاد الاقتـــصادية وخاصة أن العرب كانوا ينظرون إلى هؤلاء اليهود باعتبارهم غرباء دخلاء نزحوا إلى بلادهم العربية فأقاموا فيها بالقوة ، وزاحموهم في أرزاقهـــم ، وسيطروا على اقتصاديات الجزيرة العربية يذكر (هاريمـــان) أن اليهـــود تمكنوا بما كان لهم من مال ، وخبرة في جمعه ، وفـــي أعمـــال الـــصرافة والاحتكار وإكثار المال من تولى الوظائف المالية في حكومة حمير . ومـــن تنظيم ميزانيتها ، وبذلك سيطروا على المواضع الحساسة في جسم الدولـــة وعلى الملوك حتى ادخلوا في نفوسهم بغض في ديانتهم القديمة وحب ديانة اليهود .[٢٤]

رابعًا : كان العرب ، وخاصة في اليمن ، ينظرون إلى اليهـــود علـــى أنهم عملاء للنفوذ الفارسي الأجنبي .فقد اعتمد الفرس على اليهود كعمـــلاء لهم .ولذا اعتبر بعض العرب انتشار اليهودية يعنى اتساع النفوذ الفارسي في بلاد العرب .

خامسًا : كان اليهود لا يتصفون بصفات طيبة تجعل العرب يعجبـــون بأشخاصهم فيقبلون على اعتناق دينهم ، فقد تكرر نقضهم للعهود ، وتكررت خيانتهم وغدرهم إلى جانب التجائهم إلى أساليب ملتوية في معاملاتهم المادية والاقتصادية .

---

(٢٤) القلقشندى : صبح الاعشى ح٥ص٢٩٥ وما بعدها ، والسنهودى : وفاء الوفا ح ١ ص ١٥٢ وما بعدها .

(٢) تاريخ اليهود في بلاد العرب ص٦٧ .